

من "فتية الجنة" في العراق إلى خلية أبو مصعب العاصمي في الجزائر القاعدة تعكف على تنشئة جيلها الثالث من "الفتية الذين أووا إلى كهفهم"

الاسبوع الثالث أيار/ مايو 2008

تحدث تقارير عن تغيير القاعدة تكتيكاتها، ونواياها استغلال الأطفال لخلق "جيل ارهابي جديد" بعدما انحسر نفوذها في العراق، ودلائله الدفع بالنساء في عملياتها الانتحارية. وتقول المصادر أن تجنيد الأطفال يأتي لأسباب عدة من أهمها سهولة التأثير بهم وقدرتهم على الإفلات من الشكوك وعبر الحواجز، وأن ذلك نتاج مباشر للشح الذي باتت تعاني منه المنظمات "الجهادية" في المقاتلين، إضافة الى تراجع الدعم الشعبي لهم.

وقد حذر رئيس جهاز المخابرات الداخلية البريطانية، جوناثان إيفانز، من أن خلايا القاعدة في باكستان والعراق والصومال تقوم بإغراء الأطفال والمراهقين والنساء في الدول العربية وأوروبا لتنفيذ عمليات إرهابية ضد بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي التي شاركت في الحرب في العراق وأفغانستان وكذلك تخطط لهجمات في أجزاء من شرق إفريقيا، مشيراً إلى أنه تم في هذا العام إلقاء القبض على فتيان تتراوح أعمارهم بين 15 و 16 عاماً للاشتباه في تورطهم بمحاولة تنفيذ أنشطة إرهابية في لندن.

وفي الواقع فإن ثمة استشرافية في التقارير التي تتعاطى مع ملف تجنيد الحركات الاسلامية وبضمنها القاعدة وطالبان وحزب الله وجيش المهدي للأطفال؛ إذ ينسب خبراء مكافحة الإرهاب هذه الظاهرة إلى "حذور الإسلام الأولى" مستشهدين على ذلك بقولهم أن نبي المسلمين كان من المهمين بنشر الدعوة بين الفتية، فالامام علي كان أول من أسلم من الفتية، والرسول هو من أصر قبيل وفاته على تسيير حملة الفتى أسامة بن زيد، رغم اعتراض وتلكؤ القوم، نظراً لحدائثة سنه وقلة خبرته مقارنة بغيره من القادة والمشاركين في الحملة.

واستخدام المرأة والأطفال في الحروب، ليس بجديد سواء على الحركات الاسلامية، أو حتى العلمانية، فما من فصيل من فصائل العمل الوطني في المنطقة العربية ومن ضمنها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية إلا واستخدم الفتية في نشاطاته، حيث شكلت بنى خاصة بالأطفال - أشبال وزهرات- وأقحمت المرأة في نشاطات قتالية. وهناك العديد ممن سقطوا في ساحات القتال ممن لا تتجاوز أعمارهم الثامنة عشرة. وحتى رحيله كان عرفات يردد بأن شبلاً او زهرة سترفع علم فلسطين على أسوار ومآذن وكنائس القدس، ما يؤكد ان استخدام الأطفال في الصراعات ليس غريباً على منطقتنا، أو حتى على الغرب الذي سير في تاريخه حملتين صليبيتين عام 1212 قوامهما الأطفال، وانتهت إحداهما ببيعهم في سوق النخاسة.

ومن البديهي في البلدان التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي، واستمرار الحروب كالعراق وأفغانستان والصومال ان ترتفع نسبة استغلال المراهقين في الحروب. وبالنظر الى العراق فإن الجيل المراهق فيه اعتاد على الحروب واصوات القذائف والدماء، وبالتالي فهو جيل اكثر ميلاً للعنف.

والمعروف ان المراهقين اكثر جرأة واندفاعاً ممن يكبرونهم سناً، وتزداد خطورة هؤلاء، وكذلك المرأة اذا ما اضيف نازع الانتقام لقریب سقط أو في معمعان الصراعات، وهو ما تنبعت اليه القاعدة في العراق وغيرها من البلدان، في اطار تنشئة جيلها الثالث الذي لن يقل ضراوة عن جيلها الأول والثاني، على قاعدة ان في الاسلام من بلغ الحلم فهو رجل كامل البلوغ.

ولا شك ان القاعدة لم تكن يوماً غائبة عن الاهتمام بأدلجة الصغار، سوى ان قصر اليد ما دفعها للاكتفاء إعلامياً بتعبئة الكبار، فقد سبق لها وان اصدرت فيلماً كارتونياً للأطفال لا تتجاوز مدته الخمس دقائق، ووزع للمرة الأولى في 20/12/2005، وحمل عنوان "ارهابي" لحثهم على "الجهاد"، واطهر مشاهد من عمليات تستهدف قوات أميركية في العراق.

ومن الالهية بمكان الاشارة الى أن الجماعات السلفية الجهادية، وعلى رأسها شيخها أسامة بن لادن، تكتر من استخدام مصطلح الفتية، كاشارة تحريضية للناشطين من هذا الجيل على سبق من سبقهم

"على درب الجهاد والبطولة". وبهذا الخصوص ايضا يلحظ اهتمام لافى لدى هذه الجماعات بقصة اهل الكهف وخصوصا بالاية (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)، وهي التي جرى تضمينها في بعض البيانات المنسوبة للقاعدة، كالاشادة بمجموعة "غزوة بقيق"، و"قصة هروب الاخوة من قاعدة باغرام".

ويعتقد البعض أن حلقة العنف في المجتمعات الاسلامية ما زالت في بداياتها، لان المجموعات الاسلامية المتشددة، تركز على الراشدين الاكثر استعداداً في مجتمعات تمر بتغييرات جذرية عنيفة، كالعراق والباكستان وافغانستان والصومال وغيرهم.

وقد سبق للسعودية أن كشفت عام 2003 عن انتهاج تنظيم القاعدة في جزيرة العرب تكتيك تنظيم صغار السن ليكونوا قاعدة للتنظيم بعد القضاء على الرموز الكبيرة للتنظيم، وفككت الأجهزة الأمنية السعودية خلايا تضم فتية بعمر 15 سنة، وكان لأحداث المسجد الاحمر في باكستان دور في اعادة التحذير من خطورة تأهيل الأحداث وتجنيدهم وتحريضهم على العنف. وسبق أن سعت القاعدة لاستهداف بنازير بوتو لدى عودتها لبلادها، ولكن المحاولة فشلت، وسعت لتنفيذ عمليات اخرى بهدف اغتيال مسؤولين أفغان، اعتمادا على "فتية" دون الثامنة عشرة من أعمارهم.

ويلقى العراق حاليا أهمية بهذا الخصوص حيث يمتلئ بأطفال من أيتام الحرب وكذلك بالنساء الثكالى المرشحين ليكونوا ذراعا جديدا للقاعدة. ولذلك فمن غير المفاجئ على المراقبين ان ترتفع وتيرة الاعلان عن قيام احداث بعمليات انتحارية في العراق، وغيرها، يقوم بها ضرب من الجيل الناشئ، ونساء تحركهن نزعة الانتقام، أو الحاجة لمال عاجل وسريع.

ويخلص بعض الخبراء الى أن التفاتة القاعدة نحو صغار السن الذين لا تحوم حولهم الشبهة، تستدعي من بعض البلدان أن تقوم بتسريح سجنائها من المجموعات الملتحقة بفكر القاعدة، لضرب التعاطف مع القاعدة والذي رغم ضعفه الا أنه لا يزال خطرا.

القاعدة وتمكين المرأة (!؟)

تحدث التقارير في العراق عن أن الجنود الامريكين والعراقيين بانوا اليوم يتحسبون من كل امرأة تمر من الحواجز أو تقترب من القوافل العسكرية خشية ان تكون انتحارية، وبحسب أحد مراكز الأبحاث والدراسات في الرياض فإن 40% من مواقع الفكر المتطرف تديرها نساء، أعمارهن ما بين 18-50 عاماً، وينتمين لمناطق جغرافية مختلفة. وكان لهن الدور البارز في التأثير على اقربائهن للانضمام إلى مجموعات جهادية. وامثال هذه النساء لها دور معنوي وتقني للتنظيمات الجهادية. ومن المواقع التي تشكل نموذجا لنساء القاعدة موقع الخنساء المختص بمخاطبة النساء وتجنيدهن، والموقع باسم "المكتب المعلوماتي للنساء في شبه الجزيرة العربية".

والعمليات الانتحارية التي تقوم بها نساء في العراق اليوم ليست بجديدة على التنظيمات التي تنهل من فكر القاعدة، وقد بدأت هذه الظاهرة في نهاية تسعينيات القرن الماضي، وكان شامل باسايف وامير خطاب زعيما المقاومة الإسلامية في الشيشان، من اوائل من تنبه الى ضرورة استغلال النساء في قتال الروس، حيث خلف النزاع في الشيشان العديد من الازامل والعوانس، وكانت ابرز عملية قامت بها النساء الشيشانيات عملية مسرح دوبروكافة في موسكو.

وفي مجزرة المسجد الاحمر في باكستان برزت حالة شبيهة، حيث قاتلت النساء في المسجد وقالت احداهن "كنا نريد أن ننفذ هجمات انتحارية، لكننا لم نكن نمتلك ما يكفي من المتفجرات". وكذلك ظهرت خلية مليكة العرود ارملة قاتل احمد شاه مسعود، وهي بلجيكية من اصل أفغاني اتهمت بإدارة مواقع لتنظيم القاعدة على الانترنت.

وتتوقع الاوساط الحكومية العراقية وكذا الامريكية أن ترتفع نسبة العمليات الانتحارية التي تنفذها نساء في العراق، وتعتقد أوساط حكومية عراقية أن التنظيمات المسلحة التابعة للقاعدة تستغل النساء القرويات اليائسات والمهمشات اللواتي فقدن كل شيء بسبب العنف، وان القاعدة توحى للنساء ومنهن فتيات دون سن العشرين، أن تنفيذ العمليات الانتحارية هو سبيلهن الوحيد لإنهاء معاناتهن من جهة، ومن اجل التقرب الى الله من جهة أخرى.

وتعزو جميلة نجم عضو مجلس محافظة ديالى، سبب قيام اغلب النساء بالعمليات الانتحارية الى الترميل المبكر في محافظة ديالى، وفقدان الأب أو الأخ المعيل، وغياب الإحتضان الحكومي والمجتمعي والعشائري، وحذرت من أن ذلك هو ما دفعهن الى شبك القاعدة مرة أخرى.

ولفتت الى أن تنظيم القاعدة كثف حملته لتجنيد عدد من الانتحاريات عبر دعوة الأرامل بسبب العمليات العسكرية إلي الالتحاق بما وصفه ببيان للقاعدة بـ المؤمنات المجاهدات على طريق الإسلام، موضحة انه تم العثور علي هذا البيان في قريني الكبة والمخيسية التابعتين لبلدة أبي صيدا في المقدادية، (80 كم شمال شرق بغداد).

ويعود اشراك المرأة في قتال القاعدة في العراق الى زعيمها ابي مصعب الزرقاوي، وكان في ايلول/سبتمبر 2005 اول من اعلن من القاعدة بيانا عن اول انتحارية فجّرت نفسها في مدينة القائم. ويعتقد البعض انه استند في ذلك على فتوى للشيخ يوسف القرضاوي ومؤداها أن الإسلام يبيح للمرأة في العراق وفلسطين أن تخرج للجهاد دون انتظار إذن زوجها أو وليّ أمرها، وأن مثاها في الجنة وشفاعتها كالرجل بخلاف انها تتزوج من شهيد واحد فقط.

وبينما لم يكن الاعتماد على المرأة في مرحلة الزرقاوي طاعيا، الا أنه اصبح ظاهرة على يد خليفته ابي حمزة المهاجر، فقد شكل هذا قبل نهاية عام 2006 "كتيبة الخنساء" التي تضم النساء الانتحاريات، وهي مرحلة تمدد للقاعدة ولم تكن خلالها تعاني عوز الرجال الانتحاريين، الامر الذي يدحض الظن بأن استخدام المرأة يعود فقط إلى شح الرجال، وضعف القدرة على تنفيذ العمليات الانتحارية فحسب، وانما لان ذلك له صدى اعلامي واسع، تراهن عليه القاعدة في تعزيز دعايتها.

واليوم يمكن القول إن العراق بات يحتل المرتبة الاولى في عدد الانتحاريين والانتحاريات في العالم الاسلامي، بعد ان كانت فلسطين تحتلها؛ فقد وصل عدد عدد الانتحاريات في العراق 19 امرأة مقابل 10 انتحاريات في فلسطين من عام 2000 وحتى اليوم، و175 انتحاري فلسطيني في ذات الفترة مقابل 1000 انتحاري في العراق.

أطفال العراق عجنه بخمائر التطرف

خلال العام الماضي والجاري تزايدت التقارير الدولية التي تتحدث عن تجنيد الاطفال في العراق للقيام بعمليات مسلحة، وتلفت الأمم المتحدة إلى أنه منذ عام 2004 تنامت أعداد الأطفال الذين يتم تجنيدهم في العديد من الميليشيات والجماعات المتمردة للقيام بعمليات منها شن الهجمات الإنتحارية حيث يقبع زهاء 1,500 طفل في مرافق الإعتقال.

وعلى الصعيد ذاته اعلنت المنظمة الدولية للهجرة في شباط/فبراير الماضي ان معلومات تفيد بأن أطفالا تتراوح أعمارهم ما بين 10 و14 عاما في محافظة ديالى التحقوا بمجموعات المسلحين من اجل كسب لقمة العيش او انتقاما لمقتل احد ذويهم.

وفي العراق لا شك أن من الطبيعي ان يزداد تجنيد الاطفال، فهو بلد يفتقر للاستقرار، وتتدهور فيه البنى الاجتماعية، وتضطر نسبة من يطحنهم الفقر. ولا ادل على ذلك من ارتفاع نسبة التسرب من المدارس، حيث تؤكد الامم المتحدة أن حوالي 50% فقط من طلاب المدارس الابتدائية يرتادون المدارس، وهو عدد متدن مقارنة بالعام 2005 حيث كانت النسبة 80%.

ولما كان السبب الرئيس للتسرب من المدارس هو الفقر فإن اعدادا كبيرة تندفع الى العمل، والانحراف. وقد اظهر مسح عام أن نحو مليون و300 الف طفل تتراوح اعمارهم بين 8 و16 عاما يعملون وهذا يمثل 6.1 في المئة من السكان، وبضمنهم ما نسبته 27 % يعملون اكثر من ثماني ساعات يوميا. جملة ما سبق اضافة الى جملة المعاناة السياسية كلها عوامل تسهم ايضا في وقوع جانب من الاطفال في احضان الجماعات المسلحة.

ويؤكد علماء نفس عراقيون، ان اطفال العراق سيصبحون مؤمنين بالقوة والعنف كطريق لحل المشاكل، وهذا كله سيظهر في المستقبل، وهذه النزعة العنيفة ستبقى داخلهم، حتى ولو انتقلوا الى دول ومجتمعات اخرى.

ويقول جوناثان باورز وهو مسؤول منظمة امريكية تعنى باطفال العراق وكان ضابطا سابقا خدم في الجيش في العراق ان العنف المستمر يؤدي الى جيل دون المستوى التعليمي المطلوب وعاطل عن العمل، يعاني من صدمات نفسية وشديد التأثر بالدعوات للانتقام التي تطلقها الميليشيات والمجموعات المسلحة المتمردة. ويؤكد انه بدلا من تدريبهم على إعادة بناء بلدهم، يتم تدريبهم على استخدام السلاح لتدميرهم ويحذر من انه اذا لم يتغير هذا النمط فإن الامريكيين سيجدون انفسهم في حرب مع هؤلاء الشباب انفسهم بهدف ارساء السلام في الشرق الاوسط على حد تعبيره.

القاعدة في العراق وتجنيد الاطفال

لا شك ان نشاط القاعدة انخفض بنسبة كبيرة في العراق، بعد انشاء قوى الصحة العشائرية ومجالسها التي أخذت تصد عن الامريكيين الكثير من خسائرهم، بعد ان كانت العشائر وهي عماد قوى الصحة سندا للقاعدة، ومما تقوله الأرقام العسكرية الأمريكية فإن العام الماضي شهد اكبر خسائر القاعدة، حيث قتل في ذلك العام 2.400 من عناصر التنظيم، وألقى القبض على 8.800 آخرين، في حين أبعدت القاعدة بصورة تامة تقريبا عن بغداد ومحافظة الأنبار.

ولا تنكر بعض قيادات القاعدة في العراق تراجع نفوذها، حيث تؤكد ان العدد الكلي لأعضاءها في عموم العراق انخفض من حوالي 12.000 في حزيران/ يونيو من العام 2007، إلى حوالي 3.500 في هذه الأيام.

وبينما تدعي الإحصاءات الأمريكية أن أعداد المقاتلين الأجانب المتسللين من سورية إلى العراق انخفضت من 110 متسللين في الشهر في الصيف الماضي، إلى حوالي 40 إلى 50 متسللاً أوائل العام الجاري، إلا ان المسؤول في القاعدة قال ان العدد الكلي للمقاتلين الأجانب الداخلين إلى العراق يقدر "بالعشرات - ليس أكثر من 200 شخص.

ومع ذلك فهناك اقرار امريكي بأن القاعدة لا تزال تشكل أكبر تهديد للأمن في العراق، ويقول قادة عسكريون أمريكيون ان تنظيم القاعدة لجأ مؤخراً إلى استخدام النساء والاطفال في العمليات الانتحارية بعدما أعاقت العمليات الأمنية قدرته على شن هجمات تفجيرية كبيرة.

وقد اعترف الجيش الامريكي باعتقال 950 صبياً تأثروا بأفكار تنظيم القاعدة ولعبوا أدوار في توفير معلومات عن مواقع تمرکز وانتشار قوات الاحتلال، والجيش والشرطة العراقيين، كما قدموا دعماً لوجستياً للكوادر المختفية لاسيما شراء الطعام والشراب لهم من الأسواق حيث يصعب رصدتهم.

وفي اوائل ديسمبر/كانون الاول الماضي قال الجيش الامريكي إنه ضبط خمسة اشربة فيديو في منشأة يشغلها عناصر القاعدة في خان بني سعد شمال شرقي بغداد، تُظهر أطفالاً عراقيين لا تتجاوز أعمارهم 11 عاماً وهم ينفذون تدريبات على عمليات خطف وهجمات.

وقال المتحدث باسم الجيش الأمريكي جريجوري سميث، هذه ليست المرة الأولى التي نرصد فيها مثل هذه المواد لكن الحجم والمحتوى كان الأكثر أهمية والأشد إزعاجاً على الإطلاق بين المواد التي عثرنا عليها حتى الآن، وأضاف إن "القاعدة" تحاول أن "تسمم (عقول) جيل جديد من العراقيين"، من خلال تصوير الأطفال على أنهم "الجيل الجديد من المجاهدين". وأكد أن القاعدة اخترقت مدارس أيضاً لنشر الدعاية.

وتقول الحكومة العراقية إن غالبية الأطفال الذين تم استخدامهم خلال هجمات في البلاد كانوا بمثابة تمويه، يساعد على اختراق الحواجز الأمنية. ويرى المتحدث الرسمي لوزارة الدفاع العراقية اللواء محمد العسكري "أن القاعدة تريد تشكيل جيل جديد من الإرهابيين كونها تعاني من ضربات موجعة أفقدتها أغلب مقاتليها مما دفعها إلى استخدام بدائل من أعمار قاصرة تتراوح بين 8-14 عام"، وانها "بدأت تعاني أيضاً من شحة في الموارد والأموال". ولذلك تلجأ أيضاً لخطف أطفال والمطالبة بغدية مقابل إطلاق سراحهم.

وفي حين أن الجيش الأمريكي أطلق في العراق منذ نحو عامين برنامجاً للمعتقلين، مماثلاً للمناصحة السعودية، تحت اسم "التنوير الديني"، فإن دوجلاس ستون مسؤول المعتقلات الأمريكية في العراق يلفت النظر إلى أن ما بين الخمسة وعشرين الفا من المعتقلين يوجد 820 معتقلاً من الأحداث بعضهم لم يبلغ الحادية عشر من عمره، واغلبيتهم في مرافق اعتقال عسكرية تسمى بـ "بيت الحكمة" قرب مطار بغداد.

ويقول ستون ان هدف البرنامج هو التعامل مع الأحداث المعتقلين من ذوي الأعمار 11، 12، 13 سنة، لأن الأحداث الأكبر سناً (15، 16، 17) عنيدون وضعيون بحسب ستون. وذكر بأن ما يقارب خمسون أو ستون منهم، قد تم تسليمهم للحكومة العراقية لمحاكمتهم.

وعن طبيعة انشطتهم في الجماعات المسلحة يقول إن مرحلة تحول الشباب ليصبحوا متمردين تمر بعدد من المراحل ومنها أن يعملوا لدى المتمردین كمراسلين، حراس، وزارعي عبوات. وتأكيداً على اهتمام القاعدة الاستثنائي بالاطفال مؤخراً فقد تحدثت مصادر عربية عن انه قبل آذار/مارس 2007 كان عدد الأطفال المعتقلين في العراق 100 طفل، أما الآن فيزيد عددهم عن 800 طفل، وولفت إلى أن خلية عبد الله العيسى والتي قبض عليها في نيسان/ أبريل 2007 كانت تجند أطفال، وانها نفذت في آذار/مارس 2007 عمليتين انتحارين لطفلين لا تتجاوز أعمارهما الـ 13 عاماً.

وتضيف ذات المصادر أن الطفل يتلقى 200-300 دولار لقاء وضع عبوة ناسفة، وأكثر من ذلك لقاء تفجير نفسه، وان الآباء يتحملون مسؤولية الزج بأبنائهم في هذا الأتون نتيجة الفقر. وتحدثت مصادرنا عن وجود تنظيم خاص بالأحداث يتبع للقاعدة ويطلق عليه "فتيان الجنة"، في منطقة بغداد، وتركيزه على شن عمليات انتحارية تستهدف بالدرجة الأولى مجالس الصحوات.

وفيما يتصل بهذا التنظيم، فقد سبق أن قال زعيم صحوة شاطئ الناجي، العقيد سعيد عزيز سلمان، قبل نحو شهرين، "لدينا معلومات أكيدة أن القاعدة شكلت جماعة جديدة في مدينة العامرية (غرب بغداد) أطلقت عليها اسم "فتية الجنة" ولها فروع في مناطق أخرى لتصفية عناصر الصحوة، خصوصاً القادة منهم". وأوضح أن "هذا الفصيل تم تشكيله منذ اشهر ويستقطب الصبية الذين تراوح أعمارهم بين 14 و18

سنة باعتماد مغريات مادية كبيرة، إذ يتلقى الواحد منهم 3 آلاف دولار عن كل عملية ينفذها، فضلا عن قطعة سلاح حديثة وهذه المغريات كفيلة بأن تجتذب العشرات من المراهقين الذين تستهويهم المغامرات". وتابع أن فصيل "فتية الجنة" موجود أيضاً في مناطق الطارمية والتاحي والغزالية وصولاً الى مدينة العامرية. وأشار الى أن العمليات التي استهدفت رجال الصحة أخيراً نفذتها عناصر "فتية الجنة".

وقد عاود زعيم صحة التاجي مجدداً في 2008/5/26 للتحذير من اتساع قاعدة التنظيم وانتقاله الى مناطق شمال بغداد بعد ان كان في غربها، وأوضح ان قواته "اعتقلت الاسبوع الماضي 6 عناصر من فتيان الجنة سلموا الى القوات الاميركية".

وبدوره أكد زعيم صحة الطارمية (شمال بغداد) ماهر ابو سفيان ان احد عناصر تنظيم "فتيان الجنة" هو الذي نفذ عملية تفجير انتحارية استهدفت عناصر الصحة في المنطقة يوم 2008/5/26. وأضاف "بعد التحقيقات مع المعتقلين توصلنا الى معرفة هوية القادة الكبار الذين يؤمنون الدعم المادي واللوجستي لهؤلاء الصغار الذين لم تتجاوز اعمارهم 16 عاماً، واعتقلنا بعض قادتهم في حين فر آخرون خارج العراق". وزاد ان "التحقيقات كشفت ان قادة هذا التنظيم يلجأون الى البساتين البعيدة عن مراكز المدن خصوصاً في التاجي والطارمية، لاغراض التدريب، بالتواطؤ مع أصحاب هذه المزارع".

وعن بنية تنظيم الجنة قال ان "كل عنصر من فتيان الجنة يقود مجموعة لا تزيد عن 5 اطفال تقدر اعمارهم بين 11 و13 عاماً" مؤكداً انه "تمت السيطرة على غالبية الخلايا المرتبطة بهذا التنظيم". ولفت الى ان تمويل ودعم فتيان الجنة "كبير جداً". وتكهن بأن "الهدف من وراء تشكيل هذا التنظيم هو تصفية قيادات وعناصر القاعدة نفسها ضمن صراعات داخلية تصصف بها".

ويبدو للمراقب أن تكهنات سفيان انما تعزم من قناة اعادة توجيه فتية الجنة لاستخدامهم لمواجهة القاعدة وغيرها من قوى مقاومة الاحتلال. وحدير بالذكر أن ما يسمى بـ دولة العراق الاسلامية التابعة للقاعدة، أعلنت في نهاية العام الماضي تشكيل مجموعة باسم "كتيبة الصديق" لتصفية عناصر الصحة، لكن سلمان أكد ان المهمة أوكلت لـ «فتية الجنة»، وهو فصيل يعتمد العمليات الانتحارية وزرع العبوات على غرار العملية التي استهدفت القيادي في صحة العامرية سعد العريبي "أبو العبد" في العامرية.

جيل القاعدة الجديد في اليمن

يعتقد بعض المتابعين أن القاعدة في المنطقة العربية تعيد تنظيم صفوفها، واصبحت اكثر نضجاً من الناحية التنظيمية، وباتت اكثر مهارة في استخدام شبكة الانترنت، وغيرها من وسائل الثورة المعلوماتية للتواصل والاتصال.

ويقول اكاديميون يمنيون إن الضربات التي وجهت إلى القاعدة في اليمن والسعودية في السنوات الاخيرة جعلتها تعيد بناء خلاياها على شكل مجموعات عنقودية صغيرة، حتى لا تتعرض لضربات تفقدها الكثير من أعضائها. ويتوقعون أن تكون ضربات القاعدة كثيرة في المرحلة القادمة، لان الأجندة الاميركية ستفرض على الانظمة العربية، مطالب خطيرة ومهمة تتعلق بالقضايا السياسية والاقتصادية. كما يتوقعون أن تتعاطى القاعدة بتكتيكات جديدة، تكون مصحوبة بتفسيرات دينية، تكفر فيها الكثير من السياسيين والمثقفين، بهدف التوسع في المجتمعات التي يرون انها تتقبل بعض تبريراتهم الدينية.

وثمة ميل واضح لدى القاعدة في اليمن منذ اوائل العام الجاري لمضاعفة نشاطها في البلاد، حيث استهدفت مصالح حكومية وأخرى أجنبية. ويعتقد محللون يمنيون أن الحكومة في حالة ارباك لانها لم تستطع حتى الان التعاطي مع مجموعات القاعدة الجديدة، كما كانت تتعاطى مع مجموعاتها في الماضي بهدف تحييدها، وهذا في وقت انفتحت فيه ملفات تمرد على الحكومة في الشمال والجنوب.

وسبق ان حذر تقرير لوحدة الاستخبارات البريطانية الاقتصادية من ان لجوء صنعاء لاستخدام القوة العسكرية مع الجنوبيين، سيؤدي الى تمرد كبير لن يستفيد منه سوى جيل جديد من تنظيم القاعدة في اليمن.

ويشير التقرير إلى أن ما يزيد حدة التوتر والعنف في البلاد، هو أن مقاتلي الجيل الجديد من تنظيم القاعدة قد كثفوا نشاطاتهم بشكل امتد إلى العديد من المناطق والمحافظات، مشتملة على وسط وشمال وشرق وجنوب اليمن. حيث نفذ التنظيم في منتصف مارس/أذار الماضي هجوماً بقذائف الهاون على مبنى

السفارة الأميركية بصنعاء مما أسفر عن جرح 13 تلميذة نتيجة لسقوط القذائف بشكل خطأ على مدرسة للبنات مجاورة لمبنى السفارة. وفي أواخر مارس/آذار تبنى التنظيم عملية تفجير أنبوب نفط وهجوم بالقنابل على حقل نفطي تابع لشركة صينية في محافظة حضرموت. وفي مطلع أبريل/نيسان الماضي قصف التنظيم بقذائف هاون مجمعا سكنيا في صنعاء يقطنه غربيون ومهندسو نفط أجانب مع عائلاتهم.

ويقول خبراء غربيين في مكافحة الإرهاب "إن جيل القاعدة الجديد في اليمن قد كثف تواجده ونشاطاته بأسلوب أشد خطورة من ذي قبل بعد أن انشق وانفصل كليا عن محاربي القاعدة القدامى باليمن الذين نبذوا العنف وتصالحو مع النظام الحاكم وانخرطوا في المجتمع".

ويدعي التقرير البريطاني أن الجيل الأول للقاعدة على اتصال وثيق بالسلطات التي ألزمتهم بتعهدات تقتضي عدم تنفيذ أية أنشطة في اليمن أو استهدافات، لقاء إمكانية خوض الجهاد في الدول الأجنبية.

وحول زعيم القاعدة الجديد في اليمن التي تطلق على نفسها "تنظيم قاعدة الجهاد في جنوب الجزيرة العربية"، يتحدث التقرير عن شاب يدعى ناصر الوحيشي، لا توجد له اتصالات سواء بالحكومة، أو بالجيل الأول للقاعدة بسبب ارتباط الجيل بالسلطات.

وتلافيا للاختراقات الامنية فقد انشأ الوحيشي جماعته الجديدة التي معظمها من الشبان صغار السن البعيدين عن اعين الامن، وركز هجماته ضد مصالح محلية يمنية وغربية في اليمن، وأعلن ان اهدافه هي طرد جميع التواجد الأجنبي والغربي من اليمن.

ولذلك يقول التقرير إن الحكومة اليمنية راهنا فقدت سيطرتها على زمام الإرهاب تماما، لتتحول إلى مواجهة عدو شرس لا يقر بالهزيمة، ولا يرضخ لحوار أو تهديد، ولا يعترف بشرعية نظام مسلم حاكم أو دستور أو قانون.

ويرى محللون سياسيون يمنيون، أن على الحكومة اليمنية أن تعاود التعامل مع مجاميع القاعدة، كما اعتادت في الماضي لاستيعاب واحتواء هذه المجاميع. وأن تتخطى حكومتهم الرفض الامريكي لمنهج صنعاء في التعامل مع هذه المجاميع، حيث يؤكد هؤلاء المحللون أن الضغوط الامريكية جزء من المشكلة وليس الحل، وان الضغوط الامريكية تسهم في تصعيد العمليات، وخصوصا عندما تنتهك الحكومة الدستور وتسلم يمينين الى امريكا، وهو ما يدفع القاعدة للضغط بدورها على حكومتهم، وهو ما يزيد من توترات البلاد توترا.

دور متزايد للفتنة في "قاعدة المغرب الإسلامي"

تقول وزارة الداخلية الجزائرية إنها تشن منذ مطلع ديسمبر/ كانون اول الماضي حملات توعية للشباب والقُصّر بغرض حمايتهم من التورط في عمليات إرهابية. وقد جاء ذلك في وقت تحذر فيه التقارير الامنية من اهتمام تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الاسلامي بتجنيد شبان باعمار 15 و16 سنة، لتنفيذ عمليات عسكرية، حيث اثبتت التحريات الامنية أن التنظيم جند عام 2006 حتى ابريل/نيسان 2007 نحو خمسين شابا.

وقد كان تفجير ثكنة للبحرية الجزائرية في دلس على ايدي نبيل بلقاسمي المراهق الذي كنى نفسه بـ"ابو مصعب العاصمي" وعمره يقارب الـ 15 عاما، في 2007/9/11، فاتحة لالقاء الضوء على اهتمام التنظيم بالأحداث، حيث كشفت التحقيقات أن التنظيم تمكن من تجنيد أطفال ومراهقين تمت استعادة العديد منهم، كانوا يتلقون تدريبات في جبال اثنية بولاية بومرداس شرق العاصمة الجزائر تمهيدا لتجنيدهم.

وتقول المصادر الأمنية أن غالبية هؤلاء يتم تجنيدهم في الضواحي الجنوبية للعاصمة، وأكثرهم يجري استقطابهم من خلال دعوتهم للتدريب للقتال في العراق، ولكنهم في النهاية ينتهون لتنفيذ برنامج الجماعة المحلي بعد التذرع بصعوبة ايصالهم كما جرى مع بلقاسمي.

وتؤكد السلطات الأمنية في الجزائر أن الجماعات المسلحة تعرض على الأطفال مبالغ مالية مقابل خدمات أولية، تتمثل في الدعم والإسناد ومراقبة تناقلات أعوان الأمن، ليتطور ذلك إلى تنفيذ عمليات انتحارية تقتل العشرات وتترك رسالة وداع واضحة لأهاليهم بلغة الدم.

وكان تنظيم القاعدة استخدم أطفالا في توفير معلومات قبل هجوم "إييكورن" الذي نفذته وحدة خاصة تابعة لفرقة مكافحة الإرهاب تمكنت من التعرف على هوية 41 عنصرا إرهابيا وعشرات الأطفال من أقارب المتطرفين، هم أعضاء خلية دعم وإسناد تطلق على نفسها "سرية المريح" وهي تابعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

وجاءت العملية بعد أن تعرضت قاعة للألعاب الإلكترونية بمنطقة "بريكة" بولاية باتنة 350 شرق العاصمة الجزائر إلى اعتداء إرهابي بواسطة كيس مفخخ، غرر فيه الإرهابيون بطفل صغير لا يتعدى سنه 10 سنوات كان بصدد الدخول إلى القاعة قبل أن تستوقفه سيارة، ويطلب منه من كان بداخلها إدخال كيس

إلى صاحب القاعة، حيث انفجر الكيس بمجرد أن وضعه الطفل فوق طاولة "البلياردو"، وخلف مقتل طفلين تتراوح أعمارهما ما بين 9 و12 سنة، فيما تعرض 7 آخرين أكبرهم لا يتجاوز سن الـ 17 إلى جروح خطيرة.

واعترف المتهمون أن الخلية تعتمد على الأطفال في نقل الأموال، والأسلحة والمتفجرات التمويه والادوية، واللبسة. وأنها كانت وراء ضمان تنقل عدد من الإرهابيين من حوش لآخر بفعل المعلومات التي كانت تزودهم بها عن تنقلات دوريات الجيش وحواجزه.

وتقول السلطات إن التنظيم يقوم في البداية باستقطاب المراهقين وتدريبهم على استعمال الأسلحة الخفيفة، ثم يتم توريطهم في عمليات إرهابية مقابل مبالغ مالية تتراوح بين 2000 و3000 دينار للعملية الواحدة، وهذه العمليات تكون غالبا عبارة عن حواجز مزيفة وهي الوسيلة المثلى لتزكيتهم عند قادة التنظيم، بعد ذلك يضطر هؤلاء الشباب والمراهقون إلى الصعود للجبال والالتحاق بالتنظيم بعد تربيتهم وإيهامهم بأنهم أصبحوا ملاحقين من طرف قوات الأمن، وهكذا ينجح قادة القاعدة في الحصول على جيل جديد من الإرهابيين القادرين على تنفيذ أي مهمة تطلب منهم.

وقد أفادت تحقيقات سابقة في الجزائر مع المراهقين الذين تم القبض عليهم انهم أقارب لعناصر قيادية في القاعدة، أو أقارب لمن كانوا يعتبرون من قادة الجهاد ضد السلطة. وان التنظيم دأب على تجنيد الأطفال والمراهقين من أقارب العناصر القيادية ومنهم الانتحاري حفيظ محمد (17 سنة) الذي نفذ الهجوم على ثكنة الجيش بمدينة الأخضرية في 11 يوليو/تموز 2006. وكذلك عبد القهار بن حاج نجل علي بن حاج الرجل الثاني في الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة الذي ظهر في شريط مصور مع إرهابيين مغاربة في يونيو/حزيران 2007 والذي برر صعوده إلى الجبال بالسعي لإقامة شرع الله أي ما كان والده ينادي به قبل حل الجبهة.